

عتبة 3

.أبي لم يرحل قطّ

.هناك أشخاص يغادرون غرفة

.وهناك أشخاص يتركون اتجاهًا

.الأولون يختفون

.والآخرون يبقون

لسنوات طويلة اعتقدت أنّ الإرث مسألة أموال وممتلكات
وأشياء تُحفظ أو تُورّث. مع الوقت أدركت أنّ الإرث
الحقيقي أصعب بكثير أن يُرى

.لا يوجد في الخزائن

.لا يوجد في الأدراج

.لا يوجد في الوثائق

.يسكن في السلوك

.أبي لم يترك لي وصفات

.لم يسلمني دليل استعمال

.لم يُعدّ لي خريطة مفصّلة للحياة

.ترك لي شيئًا أصعب بكثير أن يُشرح

.طريقة في الوقوف في هذا العالم

.في شبابي لم أكن أراها

.الأبناء نادرًا ما يرون آباءهم بوضوح

.يعتبرونهم أمرًا مفروغًا منه

يعتبرونهم حضورًا دائمًا، يكاد يكون قانونًا من قوانين
الطبيعة.

.كالبحر.

.كالسماء.

.كتعاقب الفصول.

.يراقبونهم دون أن يدرسوهم.

.يسمعونهم دون أن يفهموهم.

.يقلّدونهم دون أن ينتبهوا.

.ثم يأتي عمرٌ يتغيّر فيه كلّ شيء.

.الكلمات المنطوقة قبل سنوات طويلة تعود.

.الإيماءات تكتسب معنى مختلفًا.

.حتى الصمت يكتسب صوتًا جديدًا.

.حينها نبدأ حقًّا في معرفة من سبقونا.

.أبي لم يكن يشرح لي قيمة المسؤولية.

.كان يمارسها.

.وذلك الفرق هائل.

.الناس لا يتذكّرون إلا قليلًا ممّا يُلقّن.

.ويتذكّرون كثيرًا جدًّا ممّا يُعاش.

.حين يحفظ رجلٌ وعدًّا صعبًا، هناك من يراقب.

.حين يواجه هزيمة دون أن يبحث عن مذنبين، هناك من يراقب.

.حين يواصل أداء واجبه دون أن ينال تصفيقًا، هناك من يراقب.

.غالبًا يكون ذلك المراقب ابنًا.

.حتى حين يبدو شارّد الذهن.

.حتى حين يبدو بعيدًا

.حتى حين يبدو غير فاهم

.يراقب

.ويحفظ

كثير من القرارات التي اتخذتها في حياتي الراشدة لها
. جذور تمتدّ إلى سنوات أبعد بكثير

.لم تولد في الكتب

.لم تولد في الشركات

.لم تولد في الدورات التدريبية

.وُلدت في بيت

.في عائلة

في مجموعة من السلوكيات كانت تبدو حينها عادية وأدرك
.اليوم أنها استثنائية

.أذكر شيئًا علّمنيهِ الزمن

كلّ ابن، عاجلاً أو آجلاً، يكتشف أنه يشبه أباه بطرق لم
.يتوقّعها

.يحدث ذلك فجأة

.أثناء محادثة

.وهو يواجه مشكلة

.وهو ينطق جملة

.وهو يتّخذ قرارًا

.فجأة يتعرّف على شيء ما

.تعبير

.موقف.

.ردّة فعل.

.ويفهم أنّ بعض الحضور لا يتعدّ أبدًا حقًّا

.يغيّر شكله.

.هذا كلّ شيء.

.لسنوات عبرت بلدانًا مختلفة.

.ثقافات مختلفة.

.لغات مختلفة.

.عملت مع أشخاص قادمين من كلّ أنحاء العالم.

.ومع ذلك اكتشفت شيئًا مذهّبًا.

.في كلّ مكان يوجد الحنين نفسه.

.في كلّ مكان يوجد الاحترام نفسه لمن سبقونا.

.في كلّ مكان توجد الرغبة في أن نكون على قدر من ترك
لنا قدوة.

.تتغيّر الكلمات.

.تتغيّر الأسماء.

.تتغيّر الجغرافيا.

.لكنّ الشعور يبقى هو نفسه.

.لأنّ كلّ إنسان يصل إلى العالم عبر شخص آخر.

.لا أحد يبدأ من الصفر.

.كلّنا امتداد لشيء ما.

.لحكاية.

لعائلة.

لاختيار جرى قبل ولادتنا بزمن طويل.

مع الوقت تعلّمت ألا أقيس إنسانًا بما يملك.

أقيسه بما يترك.

وما يتركه لا يتطابق تقريبًا أبدًا مع ما كان يخطّط لتركه.

أبّ يظنّ أنه يبني مسيرة مهنية.

لكنه ربما يترك مبدأً.

يظنّ أنه يترك أمانًا.

لكنه ربما يترك شجاعة.

يظنّ أنه يترك أجوبة.

لكنه ربما يترك طريقة للبحث عنها.

هذا هو الجزء الخفيّ من الإرث.

الأهمّ.

الأكثر صمودًا.

ذاك الذي يظلّ حيًّا حين يكون كلّ ما عداه قد بلي.

كثيرون يخشون أن يُنسوا.

إنه خوف قديم.

إنسانيّ في العمق.

لكنني أؤمن بوجود شكل مختلف من البقاء.

لا بقاء التماثيل.

لا بقاء الصور الفوتوغرافية.

لا بقاء النُصب.

.البقاء الأصيل يعيش في العواقب

.في الخير الذي يستمرّ

.في الكرامة التي تُحتذى

.في المسؤولية التي تنتقل من يد إلى يد

.في الشخصية التي تولّد شخصية أخرى

.أبي ما زال يعيش هناك بالضبط

.في العواقب

.لا كذكرى

.بل كحضور

أحيانًا، في الأيام الصعبة، أفاجئ نفسي أتساءل أيّ قرار
أُتخذ.

.أيّ طريق أسلك

.أيّ حمل أقبل

.أيّ مسؤولية أتحمّل

.ودائمًا تقريبًا يأتي الجواب من مكان قديم جدًّا

.مكان بلا عنوان

.مكان بلا جغرافيا

.مكان مصنوع من ذاكرة وعرفان

.لا أسمع صوتًا

.لا أرى وجهًا

.لكنني أتعرّف على اتجاه

.وهذا يكفي

.لأنه، في النهاية، ليس صحيحًا أنَّ بعض الناس يرحلون

.هم ببساطة يكفّون عن المشي أمانًا

.ويبدأون المشي في داخلنا

.لهذا لا أقول إنَّ أبي رحل

.أقول إنه يواصل الرحلة بطريقة مختلفة

.في قراراتي

.في كلماتي

.في أخطائي

.في مسؤولياتي

.في الطريقة التي أعامل بها الآخرين

.في الطريقة التي أحفظ بها وعدًا

.في الطريقة التي أواجه بها الزمن

وما دام شيء من كلِّ هذا حيًّا، فسيظلُّ جزء منه يمشي
إلى جانبي.

.بصمت

.كما فعل الآباء الحقيقيون دائمًا